شذرات من الذاكرة

عن التعليم العالي في عسير (*)

أ. محمد بن سعيد القحطاني

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الطبعة الأولى) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)، (الجزء التاسع عشر) ص ص ٣٣٢ – ٣٣٦ .

٦ـ شذرات من الذاكرة عن التعليم العالي في عسير. بقلم. أ. محمد بن سعيد القحطاني[١].

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على معلم الأمة ثم أما بعد :

فتنزولاً عند رغبة أخي الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس بأن أدلي بدلوي فيما كُلف به من الرصد العلمي لمسيرة التعليم العالي في منطقة عسير بحكم معاصرتي لتلك المسيرة طالباً ومعلماً وإدارياً في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها الذي اندمج فيما بعد مع صنوه فرع جامعة الملك سعود بأبها ليكونا كياناً جامعياً واحداً باسم جامعة الملك خالد.

فأقول مستعيناً بالله بأني كنت واحداً من آلاف الطُلاب الذين كانوا يرغبون في مواصلة الدراسة الجامعية من أبناء المناطق الجنوبية ولا سبيل لهم إلى ذلك إلا بالارتحال إلى الرياض أو الشرقية أو جدة، حيث توجد فيها الجامعات والكليات العسكرية والمعاهد المتخصصة[٢].

وقد زاد في رغبتي في الارتحال حديث وفد عسكري من كلية الملك فيصل الجوية عندما زار المعهد العلمي بأبها وربما الثانويات العامة وكانت تُعد على الأصابع في منطقة عسير حيث كانت مهمة الوفد في ترغيب الطلاب في الالتحاق بالكلية الجوية بذكر ما فيها من مميزات أثناء وبعد الدراسة وقد زادت الرغبة عندما تسلمنا منهم حقائب تحمل شعار الكلية وكتيبات بها صور ملونة لطائرات وطيارين حربيين ومبان للكلية[٣]. وقد عرضت على والدي رغبتي فلم يكن متحمساً وكأنه ينتظر ما يصرفني عن العسكرية وكان من ضمن ضباط صف الدفاع المدني بأبها.

وبعد حصولي على الشهادة الثانوية عزمت على الرحيل ولكن مشيئة الله حالت دون ذلك بما تناهى إلى أسماعنا من أن كلية للشريعة واللغة العربية سيتم افتتاحها

---

(١) انظر نبذة عن سيرته الذاتية، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (الطبعة الأولى)، ج٨، ص٣٨٤. كما يوجد في مشاركته هذه لمحات من سيرته العملية والعلمية. (ابن جريس) .

(٢) كانت المنطقة الجنوبية ضعيفة جداً في مجال التطور والتنمية حتى عشرينيات القرن (١٥هـ/٢٠م). والتعليم الجامعي من المعضلات الكبيرة التي واجهت طالبات وطلاب هذه البلاد، فكان الذكور يهاجرون من الجنوب السعودي إلى المناطق الغربية والشرقية والوسطى بحثاً عن الوظيفة أو التعليم. أما الإناث فكن غير قادرات على ذلك، اللهم إلا الفتيات اللاتي يعشن مع أسرهن في مدن المملكة العربية السعودية الكبرى فقد نالوا قسطاً من التعليم العالي هناك. (ابن جريس).

(٣) شاهدت مثل هذه النشاطات في ثانوية النماص عام (١٣٩٨ـ ١٣٩٩هـ/٧٨ـ ١٩٧٩م)، وكانت تلك الوفود تأتي من الكليات العسكرية وجامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض. (ابن جريس).

في مدينة أبها فقال والدي بالنص " يا ولدي العسكرية لا تصلح لك ولا أنت تصلح لها خليك عندنا وادرس في الشريعة، " وقد قبلت نصيحته بصدر رحب لأن اهتمامي كان بالشريعة إذ كنت أقوم بخطبة الجمعة في بعض المساجد بالوكالة عن أئمتها في أبها وكنت أقوم بالإمامة في مسجد حي الخشع الأعلى وكان من الصفيح الذي أصبح مكانه حالياً جامع الراجحي[١]. كنت ممن يتعاون مع أوائل الدعاة بقيادة الشيخين الفاضلين الشيخ سليمان بن محمدبن فائع والشيخ الدكتور/سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني من خلال ندوتين وعظيتين يقيمان أحدها في أبها يوم الاثنين والثانية في خميس مشيط يوم الخميس ومن خلال الجولات الدعوية في قرى منطقة عسير[٢].

اتخذت قراري بالدراسة في كلية الشريعة التي انتدب لحصر المعلومات وجدوى افتتاحها وأسماء الراغبين في الالتحاق بها من طلاب منطقة عسير فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور زاهر بن عواض الألمعي[٣]. الذي انتهت مهمته بقرار جامعة الإمام وافتتاح الكلية وتكليف الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز المصلح "عميداً لكلية الشريعة واللغة العربية " في الجنوب[٤].

ونظراً لعدم وجود ما يكفي من الإداريين فقد استعان الشيخ المصلح بمن لمس فيهم ميلاً للأعمال الإدارية من الطلاب وكنت واحداً منهم لمعاونة الموظفين بعد انتهاء اليوم الدراسي في الأعمال الكتابية والإحصائية، إذ لم يكن هناك وجود للوسائل التقنية وكان على رأس الموظفين مدير الشؤون الإدارية والمالية الأستاذ محمد بن أحمد الأحمد الذي كان فيما بعد مستشاراً لمعالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوى والإرشاد، ومدير الشؤون الطلابية الأستاذ يحيى بن فائع الذي أصبح فيما بعد مديراً لفرع إدارة في الجامعة ثم مدير لإدارة تعليم سراة عبيدة لمدة (٢٠) عشرين عاماً، والأستاذ عامر بن عبدالمحسن العامر الذي كان معاوناً له وأصبح فيما بعد مديراً عاماً لفروع هيئة الأمر

---

(١) للمزيد عن التركيبة الجغرافية لمدينة أبها، انظر غيثان بن جريس. أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض: مطابع الفرزدق، (١٤١٧هـ /١٩٩٧م) (٥٨٠صفحة). (ابن جريس) .

(٢) تاريخ الدعوة والصحوة في جنوب المملكة العربية السعودية منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى نهاية العشرينيات من القرن(١٥هـ/٢١م) من الموضوعات التي لم تدرس ضمن منهج علمي توثيقي دقيق، آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع الجدير بالدراسة والتحليل والتوثيق. (ابن جريس).

(٣) الدكتور زاهر الألمعي من أعلام المنطقة الجنوبية، وله جهود وبصمات في خدمة البلاد والعباد، ويستحق أن يكتب عنه كتب وبحوث عديدة، آمل أن نرى من يتولى ذلك من طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا في جامعات منطقة عسير وما جاورها. (ابن جريس).

(٤) عاصرت بدايات فرعي جامعتي الإمام والملك سعود في أبها عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ودرست مع صاحب هذه الورقة في كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، وكانت الإمكانات متواضعة، لكن الطلاب وأعضاء هيئة التدريس آنذاك جادون مجتهدون. (ابن جريس).

بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة عسير، والأستاذ محمد بن يحيى القحطاني الذي التحق بعد حصوله على المؤهل بدورة الضباط الجامعيين[١].

تم اختياري بعد حصولي على المؤهل في الشريعة معيداً فيها وتم إيفادي لدراسة السنة المنهجية لمرحلة الماجستير في كلية الشريعة بالرياض وعدت بعدها وتم تعييني وكيلاً لكلية الشريعة وأصول الدين وتكرر التكليف لخمس مرات بينها بعضا فترة انقطاع وكنت أقوم بالتدريس إلى جانب العمل الإداري، وشاهدت تلك المسيرة العلمية تعليما وتعلما وعملا فقد ارتفع عدد المعيدين وأعضاء هيئة التدريس بنسبة عالية في مجالات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا وفي التخصصات التي أحدثت في الاقتصاد والاجتماع والإدارة والمحاسبة وغيرها[٢]. بعد أن كانت الأقسام العلمية ومجالسهاومجلس الكلية تعتمد اعتماداً كلياً على الإخوة المتعاقدين من دول مصر وسوريا وتركيا والسودان واليمن[٣]. كما ارتفع عدد الطلاب السعوديين إلى جانب إتاحة الفرصة للطلاب الوافدين من أكثر من (١٢٠) دولة إسلامية وعربية، وكان وراء هذه النجاحات معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير الجامعة وممثله في المنطقة عميد الكلية الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز المصلح.[٤]

عندما بلغ فرع الجامعة العام الثالث والعشرين واستوى على سوقه ونالت كل محكمة أو منبر أو مدرسة أومعهدأوكتابة عدل أو دائرة وتحقيق أو عمل إداري من ثمراته اليانعة[٥]. وإذا بولي العهد الكريم عبدالله بن عبدالعزيز أثناء زيارته للمنطقة عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) يعلنها هدية للمنطقة بدمج فرع جامعة الإمام مع فرع جامعة الملك سعود وكانا فرسي رهان في جامعة واحدة وآثر رحمه الله أن تكون باسم أخيه الملك

---

(١) عاصرت الكثير من الأعلام السعوديين والوافدين، أكاديميين وإداريين، كان لهم الأثر الكبير في تأسيس فرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد ابن سعود الإسلامية في أبها. والكثير منهم كان لهم جهود كبيرة وآثار إيجابية عديدة، وهم يستحقون أن تكتب سيرهم وما قدموا لخدمة التعليم العالي وعموم المجتمع في منطقة عسير وما جاورها من بلدان تهامة والسراة. (ابن جريس).

(٢) ليس بهذه الصورة التي يذكرها صاحب الشهادة، نعم كان هناك معيدون، لكن يقيت كليات فرعي الجامعتين في أبها تعاني من قلة عدد السعوديين في الأقسام الأكاديمية، ومازالت كثيراً من الأقسام تعاني تحت مظلة جامعة الملك خالد حتى هذا العام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م). (ابن جريس).

(٣) إن الأخوات والإخوان المتعاقدين هم الذين عملوا واشرفوا وتابعوا مسيرة التعليم العام والعالي في بداياته في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية. ومازالوا إلى اليوم يساهمون بنسب كبيرة في الأقسام وكليات الجامعات في عموم بلاد تهامة والسراة. (ابن جريس).

(٤) الشيخان التركي والمصلح لهما جهود كبيرة ومميزة في خدمة بدايات التعليم العالي في جنوب المملكة العربية السعودية. ويستحقان أن يكتب عنهما دراسات مطولة في هذا الباب، نأمل أن يظهر في المستقبل من يقوم بذلك. (ابن جريس).

(٥) الآثار الإيجابية لفرعي جامعتي الإمام والملك سعود على عموم مجتمعات المنطقة الجنوبية تستحق أن تدون في مئات الصفحات. وهذا موضوع لم يسبق دراسته، آمل أن نراه عنواناً لكتاب أو رسالة علمية. (ابن جريس).

الصالح خالد بن عبدالعزيز، ونشأت جامعة الملك خالد عام (١٤١٩هـ) التي تميزت عن بقية الجامعات برصيدها الإداري والعلمي والبشري المتنوع في جميع التخصصات[١]. وكان لي شرف المشاركة في عدد من اللجان الإدارية أو المالية والعلمية[٢]. وكان للجامعة شرف التأسيس والإشراف على جامعات نجران وجازان وبيشة وعدد من الفروع في المحافظات بمنطقة عسير[٣]،وتعتبر جامعة الملك خالد من الجامعات العملاقة على مستوى العالم من وجهة نظري[٤]، حيث افتتحت العديد من البرامج العلمية لمرحلة الماجستير والدكتوراه وكثير من الدبلومات وكان خريجوها ومنسوبوها محل سمع ونظر ولاة الأمر حيث اختير منهم أعضاء لمجلس الشورى ومديرو عدد امن الجامعات ووكلاء لها مثل الدكتور إسماعيل البشري، والدكتور محمد يحيى الشهري، والدكتور مرعي القحطاني، والدكتور محمد آل ناجي القحطاني، والدكتور محمد علي آل هيازع الأسمري[٥].

كما أن الجامعة حققت مراكز متقدمة في المسابقات والبحث العلمي والاختراع وهي الجامعة التي لا تهدأ إلا قليلاً من الليل لتؤدي رسالتها على أكمل وجه من خلال المعارض وورش العمل والمؤتمرات التخصصية والموسمية. ويكفيها أن تضم بين جنباتها عشرات الآلاف من الطالبات والطلاب، وأيضا الآلاف من الإداريين والإداريات وعضوات وأعضاء هيئة التدريس، بعد أن كانت البداية بما لا يزيد عن مئات الطلاب عام (١٣٩٦هـ/١٣٩٧هـ)، وبما لا يزيد عن أصابع اليدين من أعضاء هيئة التدريس السعوديين[٦].

---

(١) كانت التخصصات في الفرعين محصورة فقط في أربع كليات، هي: كلية الشريعة وأصول الدين، كلية اللغة العربية، كلية التربية، كلية الطب.(ابن جريس).

(٢) إن إدارة جامعة الملك خالد الأولى في عهد مديرها أ. د. عبدالله بن محمد الراشد واجهت الكثير من الصعوبات، لكنها تجاوزتها وأسست جامعة قوية في أركانها الأكاديمية والإدارية والمالية. وتستحق تلك الفترة أن تدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية. انظر بعضا من الوثائق والإشارات عن تلك الفترة في موسوعة: القول المكتوب في تاريخ الجنوب: (الطبعة الثانية/ ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).(١٨) مجلدا .(ابن جريس).

(٣) إشراف جامعة الملك خالد على عدد من جامعات المنطقة الجنوبية قبل استقلالها موضوع مهم وكبير ويدخل ضمن فترة إدارة الدكتور عبدالله الراشد للجامعة من (١٤١٩-١٤٣٣هـ/١٩٩٨-٢٠١٢م)،وهذا عنوان جديد في بابه يستحق الدراسة والتوثيق.(ابن جريس) .

(٤) كوني زرت عشرات الجامعات والكليات والأقسام في العالم خلال الأربعين عاماً الماضية، وأيضاً عملي في جامعتين سعوديتين (الملك سعود، والملك خالد) فإنني أتفق مع رأي صاحب هذه الشهادة بأن جامعة الملك خالد تعد من الجامعات الكبيرة والعملاقة والجيدة، ويكفي أنها صاحبة القدح المعلى في نشر التعليم العالي بشكل واضح وملموس في عموم بلاد السروات وتهامة. وحتى الآن خرج من تحت مظلتها حوالي أربع جامعات (جازان، ونجران، وبيشة، وقريبا تهامة). كما أن جامعات المملكة حصلت على بعض إيجابيات جامعة الملك خالد وذلك من خلال الكوادر البشرية التي تخرجت أو عملت فيها. هذا الموضوع مهم ولم يدرس آمل أن نرى باحثا جادا يدرسه بإنصاف وموضوعية وحيادية. (ابن جريس).

(٥) هذه الحقائق من الثمار الإيجابية التي صدرت عن جامعة الملك خالد، ومازالت هذه المؤسسة الكبيرة ماضية في تحقيق فوائد ونتائج أخرى جيدة وكبيرة. (ابن جريس).

(٦) إن تطور الكوادر البشرية لجامعة الملك خالد من الموظفين أو الطلاب أو البرامج منذ التأسيس حتى عام (١٤٤١هـ /٢٠٢٠م) موضوع كبير يستحق الدراسة، للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م)، (الطبعة الأولى)، ج١٨ (القسمان الثالث والرابع). (ابن جريس).

كان لي شرف تكليفي بالإدارة العامة للشؤون القانونية في الجامعة فكنت قريباً من أصحاب القرار ومن شهود العيان على الخطط الاستراتيجية لتطوير الجامعة بما يخدم مواطني منطقة عسير من حيث المباني والتجهيزات وذلك عندما قرر مدير الجامعة البدء ببناء مدينة صغيرة مؤقتة أنجزت في وقت قياسي لم يتجاوز العام والنصف، ثم افتتاحها ليخرج منسوبوها من الضيق إلى السعة في بيئة جامعية بأرقى المواصفات[١]، وكان الجندي المجهول قائد فريق العمل ميدانياً في بناء تلك المدينة هو الدكتور عبدالله بن عتيق[٢]. ولما كانت أقدار الله جارية على أن يفارق الإنسان ما يحب انتقلت مديراً لفرع وزارة الشؤون الإسلامية بمنطقة عسير الذي يعتبر ميداناً لعمل كثير من خريجي جامعة الملك خالد في الإمامة والدعوة والإرشاد والخطابة والأعمال الإدارية[٣]، ثم التقيت عصا التسيار عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) بعد رحلة (٤٠) عاماً في خدمة وطني، وقد اكتحلت عيني بمشاهد علمية وإدارية أرجو أن تكتمل بانتقال الجامعة إلى المدينة العملاقة في الفرعاء (القرعاء) التي صممت لتحتضن ما يزيد عن خمسين ألف طالب وطالبة، بالإضافة إلى المستشفى الجامعي داخلها الذي يتسع لثمانمائة سرير، وهي في منطقة ريفية اختطها مهندس تنمية عسير أميرها حين ذاك خالد الفيصل لتكون مقراً لفرعي جامعة الملك سعود وفرع جامعة الإمام سابقاً، وشاء الله أن تكون مقراً لجامعة الملك خالد على مساحة تقدر بتسعة كيلو متر مربع[٤]. وختاماً أسأل الله أن أكون قد أشرت إشارات سريعة إلى تطور التعليم الجامعي في منطقة عسير تلبية لرغبة أخي المؤرخ غيثان بن علي بن جريس نفع الله بعلمه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. (وصلى الله وسلم على رسوله الأمين)[٥].

---

(١) إن مباني فرعي الجامعتين في عسير، ثم جامعة الملك خالد أثناء السنوات العشر الأولى تستحق أن تدرس في هيئة كتاب أو بحث علمي. (ابن جريس).

(٢) حاولت مراراً مقابلة عبدالله بن عتيق الذي أشرف على مباني القريقر، لكنه امتنع، ورفض الحديث عن ما قابله من صعوبات حتى تم إنجاز هذا المجمع المعماري الذي انتقلت إليه كليات وإدارات وأقسام جامعة الملك خالد عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). (ابن جريس).

(٣) تاريخ الدعوة والإرشاد في منطقة عسير أو جنوب المملكة العربية السعودية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) موضوع لم يدرس ويستحق أن يدون في كتاب أو رسالة علمية. (ابن جريس).

(٤) تاريخ المدينة الجامعية في الفرعاء (القرعاء) موضوع كبير له الكثير من الوثائق والسجلات والمخططات يستحق أن يدرس في هيئة كتاب من (١٤٠٠-١٤٤١هـ/١٩٨٠-٢٠٢٠م). (ابن جريس) .

(٥) أشكرك يا أخي وزميل الدراسة في الجامعة الأستاذ محمد بن سعيد القحطاني، واعلم أن عندك الكثير من الحقائق والتفصيلات عن تاريخ التعليم العالي في منطقة عسير من (١٣٩٦-١٤٤١هـ/١٩٧٦-٢٠٢٠م)، وكنت آمل أن تكون فصلت في جوانب إدارية وأكاديمية ومالية وتطويرية ومجتمعية عرفتها وشاركت في الكثير منها، وما وصلنا منك قد يفتح أفاقاً أرحب وأوسع لباحثين جادين يدرسون هذا الميدان الكبير وأثره على الأرض والسكان. (ابن جريس).